١١ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود

ـ وفى هذا يزدرى الفيلسوف البدن ، فتفر منه روحه وتود أن تنعزل بنفسها

ـ هذا صحيح

ـ حسناً ، ولكن بقى شىء آخر يا سمياس ، أتمت عدل مطلق أم ليس له وجود ؟

ـ لا ريب فى أنه موجود

ـ وجمال مطلق وخير مطلق ؟

ـ بالطبع

ـ ولكن هل حدث لك أن رأيت واحداً منها بعينيك ؟

ـ يقيناً لم أره

ـ ألم تدركها قط بأية حاسة جثمانية أخرى ؟ (ولست أتحدث عن هذه وحدها ، بل كذلك عن العظمة المطلقة وعن الصحة وعن القوة وعن كُنْه كل شىء ، أى حقيقة طبيعته) ألم يأتك علمها قط خلال أعضاء الجسد ؟ أليس الذى يريد عقله على أن يتصور كنه الشىء الذى هو بصدد بحثه أضبط تَصوُّر ، إنما يسلك بذلك أخصرَ السبل التى تؤدى الى معرفة طبائعها الكثيرة ؟

ـ يقيناً

ـ أما من يظفر بمعرفتها أسمى ماتكون نقاء ، فهو ذلك الذى يسعى اليها واحدة واحدة ، فيتناولها بالعقل وحده ، دون أن يأذن للبصر أو لغيره من الحواس الأخرى بالتطفل أو التدخل فى مشاركة العقل وهو منصرف الى التفكير ، بل ينفذ بأشعة العقل ذاتها ، بكل صفائها ، الى ضوء ما فيها من حقائق ، بعد أن يكون قد تخلص من عينيه وأذنيه ، بل ومن كل جسده ، الذى لا يرى فيه إلا عنصر تهويش ، يعوق الروح عن إدراك المعرفة ما دام متصلاً بها ـ أليس أرجح الظن أن يظفر مثل هذا الرجل بمعرفة الوجود ، إن كانت معرفته فى مقدور البشر على الاطلاق ؟

فأجاب سمياس ـ إن فى ذلك يا سقراط لحقاً رائعاً

ـ أوليس لزاماً على الفلاسفة الحق إذا هم اعتبروا ذلك كله أن يغوصوا فى أفكارهم ، فاذا ما التقوا تحدث بعضهم الى بعض عن تفكيرهم بمثل هذه العبارة : إنا قد اهتدينا الى سبيل من التأمل قمينة أن تنتهى بنا وبالجدل الى هذه النتيجة : وهى أنه ما دمنا فى أجسادنا وما دامت الروح ممتزجة بهذه الكتلة من الشر ، فلن تبلغ شهوتنا حدَّ الرضى ، وإنها لشهوة الحقيقة ، ذلك لأن الجسد مصدرٌ لعناء متصل ، علته هذه الحاجة الى الطعام ، وهو كذلك عرضة للمرض الذى ينتابنا فيحول بيننا وبين البحث عن الحقيقة ، وهو كما يقول الناس ، أبداً لايدع لنا السبيل الى تحصيل فكرة واحدة ، لما يملأنا به من صنوف الحب والشهوات والمخاوف والأوهام والأهواء ، وكل ضرب من ضروب الجهالة ، وإلا فمن أين تأتى الحروب والمعارك والأحزاب إن لم تكن آتية من الجسد وشهوات الجسد ؟ فالحروب يثيرها حب المال ، والمال إنما يُجمع من أجل الجسد وخدمته ، ومن جراء هذا كله يضيع الوقت الذى كان ينبغى أن ينفق فى الفلسفة ، هذا ولوتهيأ للفلسفة الميل والفراغ لنفث الجسد فى مجرى التأمل الشغب والاضطراب والخوف ليحول بيننا وبين رؤية الحقيقة ، وقد دلت التجارب جميعاً على أنه لوكان لنا أن نظفر عن شىء ما بمعرفة خالصة لوجب أن نتخلص من الجسد ، ولزم على الروح أن تشهد بجوهرها جواهر الأشياء جميعاً ؛ ولست أحسبنا إلا ظافرين بما نبتغى ، وهو ما نزعم أننا محبوه ، وأعنى به الحكمة ، لا أثناء حياتنا بل بعد الموت كما تبين من الحديث . فان كانت الروح عاجزة عن تحصيل المعرفة وهى فى رفقة الجسد ، فالنتيجة كما يظهر أحد أمرين : إما أن تكون المعرفة ليست على الاطلاق حقيقة بالتحصيل ، وإما أن تحصيلها يكون بعد الموت إن كانت جديرة به ؛ فمنذئذ ، وعندئذ فقط ، تنعزل الروح فى نفسها مستقلة عن الجسد ، وأحسب أننا فى هذه الحياة الحاضرة نسلك أخصر السبل إلى المعرفة ، لو كنا نبذل نحو الجسد أقل ما يمكن

بذله من عناية وشغف ، فلا نصطبغ بصبغة الجسد ، بل نظل أصفياء إلى الساعة التي يشاء فيها الله نفسُه أن يَحلّ وثاقنا ، فإذا ماتطهرنا من أدران الجسد ، وكنا أنقياء ، وتجاذبنا مع سائر الأرواح النقية أطراف الحديث ، تعرفنا أنفسنا في الأشعة الصافية التي تضيء في كل مكان ، فلا ريب أن ذلك هو ضوء الحقيقة ، فلن يُؤْذَنَ لشيء دنس أن يدنو مما هو طاهر ، إنه لن يسع محبي الفلسفة الحقيقية ، ياسمياس ، إلا أن يفكروا في هذه الألفاظ وأشباهها ، وأن يقولها بعض لبعض ، أفأنت موافق على ذلك ؟

ـ يقينا يا سقراط

ـ ولكن إن صح هذا ياسديق ، فما أعظم الأمل إذن في أنني إذا مابلغت غاية رحلتي ، فلن يقلقني هذا الهم الشاغل الذي صادفني وإياكم في حياتنا الأولى ؛ أما وقد تحددت ساعة رحيلي ، فذلك ما أرْحَلُ به من رجاء ، ولست في ذلك فريداً ، بل هكذا كل رجل يعتقد أن عقله قد تطهر

فأجاب سمياس ـ يقينا

ـ وماذا يكون التطهير غير انفصال الروح عن الجسد كما سبق لي القول ، واعتياد الروح أن تجمع نفسها وتحصرها في نفسها بعيداً عن مطارح الجسد جميعاً ، وانعزالها في مكانها الخاص ، في هذه الحياة كما في الحياة الأخرى ، ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، وفكاكها من أغلال البدن ؟

فقال ـ هذا جد صحيح

ـ وماذا يكون ذلك الذي يُدعى الموت سوى هذا الانفصال نفسه ، وتحلل الروح من الجسد ؟

فقال ـ لاشك في ذلك

والفلاسفة الحق وحدهم دون غيرهم يبحثون في انطلاق الروح ويتمنون أن يكون . اليس انفصال الروح وفكاكها من الجسد هو موضوع بحثهم الخاص ؟

ـ هذا صحيح

ـ إنه لتناقض مضحك كما قلت في بادىء الأمر ، أن ترى أناساً يحاولون بالدراسة أن تكون حياتهم قريبة من حالة الموت ما استطاعوا ، فإذا ما أدركهم الموت أشفقوا منه .

ـ يقيناً

ـ إذن ياسمياس . فمادام الفلاسفة الحق لا ينفكون يبحثون في الموت ، فالموت عندهم ، دون الناس جميعاً ، أهون الخطوب . أنظر الى الأمر على هذا النحو : كم يبلغ منهم التناقض أن يناصبوا الجسد عداوة متصلة ، وأن يتمنوا لو خلصت لهم الروح وحدها ، فإذا ما أجيبوا الى ذلك ، كان منهم السخط والجزع ، في مكان اغتباطهم بالرحيل الى ذلك المكان ، حيث يؤملون إذا ما بلغوه أن يظفروا بما قد أَحَبُّوا في الحياة (ألا وهي الحكمة) ، وأن يتخلصوا في الوقت نفسه من مرافقة عدوهم . وكأين من رجل تمنى أن يذهب الى العالم الأسفل ، آملاً أن يصادف هناك معشوقة دنيوية ، أو زوجاً ، أو ولداً ، ليتحدث إليهم . أبعد ذلك يشفق من الموت مَنْ هو للحكمة محب صحيح ، ويعتقد كذلك أن لن تتاح له بحق إلا في العالم الأسفل ؟ أليس يقابل الرحيل بالبشر ؟ إنه ياسديق لابد فاعل إن كان فيلسوفاً حقاً ، لأنه سيوقن يقيناً ثابتاً أنه لا يستطيع أن يلتمس الحكمة في نقائها إلا هناك فقط ، دون أي مكان آخر . وإن صح هذا ، فأبلغ به من أحمق ـ كما سبق لي القول ـ إن كان يَفْرَقُ من الموت

فأجاب سمياس ـ لاريب في أنه فاعل

وأنت إذا رأيت رجلاً يجزع من اقتراب الموت ، كان جزعه دليلاً قاطعاً على أنه ليس محباً للحكمة ، ولكنه محب للجسد ، وربما كان في الوقت نفسه محباً للمال ، أو القوة ، أو كليهما

فأجاب ـ هذا جد صحيح

ـ إن ثمت يا سمياس لفضيلة تدعى الشجاعة . أليست هذه صفة خاصة بالفلسفة ؟

ـ يقينا

ـ وكذلك الاعتدال . أليس الهدوء ، وضبط النفس ، وازدراء العواطف ، التي يسميها الدهماء أنفسهم بالاعتدال ، صفة مقصورة على أولئك الذين يحتقرون الجسد ويعيشون في الفلسفة ؟

ـ ليس في ذلك خلاف

ـ وأنت إذا نظرت إلى الاعتدال والشجاعة عند سائر الناس ، ألفيت بينهما ، في حقيقة الأمر ، تناقضاً

ـ وكيف ذلك يا سقراط ؟

فقال ـ إنك عليم بأن الناس بصفة عامة ينظرون إلى الموت شراً وبيلاً

فقال ـ هذا صحيح

(يتبع)

زكي نجيب محمود